سياسيا وشعبيا، نيويورك ومدريد وليشبونة وعواصم الشرق الأقصى ومراكز المنظمات الاقليمية والدولية. وكان من الضروري، لتحقيق عملية الهجوم المضاد، ان تطرح الحركة الوطنية اللبنانية برنامجا وطنيا وشعبيا للمواجهة مع المخطط الاميركي – الصهيوني – الانعزالي، وأن تأخذ معارك الجنوب اللبناني طابع الصدام الشامل مع قوات العدو ومع مخططات الانعزاليين في الداخل، وأن تشترك سوريا في صد الغارات الصهيونية في أجواء لبنان في معارك ومواجهات كادت تسخّن الموقف بشكل خطير على مجمل «الجبهة الشرقية».

رابعا: إذا كان من البديهي القول ان الرد القومي، العسكري والشعبي والاقتصادي والسياسي، على المخطط الأميركي والاستسلامي، لم يبلغ الحد الأدنى المطلوب، ولم تبلغ التعبئة في الوطن العربي الحد الذي يمكن معه القول ان مرحلة الانحسار التي تعيشها حركة التحرر العربية قد أخذت بالانتهاء، فإنه من البديهي القول، في الوقت نفسه، إن تركيز الاعداء على الساحة اللبنانية (وعمليا الساحة اللبنانية – الفلسطينية – السورية)، قد فرض على الصامدين على هذه الساحة أن يتحملوا ما يفوق طاقتهم، وأن يقاتلوا عن أنفسهم وعن سواهم، وأن يظهروا أحيانا بمظهر الذي يريد «أن يدافع عن العرب رغما عن العرب»، إذا استخدمنا التعبير الشعبي الذي يعبّر، أحيانا، عن حالة اليأس من الدعم العربي ومن الدور العربي، وهي حقيقة مرة يعيشها يوميا أبناء الجنوب اللبناني وسكان المخيمات، سيما وأن القوى والدول ذات الامكانيات الضخمة هي بعيدة عن أن تتحسس الحد الأدنى من مسؤوليتها تجاه المواجهة مع العدو على الساحة اللبنانية.

هذا مع العلم أن من مصلحة البعض أن يشاركوا في التصدي (أو دعم التصدي) اللبناني – الفلسطيني، في سبيل التغطية على عدم القيام بالتصدي المباشر للمصالح والمخططات الامبريالية في بلادهم بالذات. الاّ أنهم، حتى هذه «التغطية»، ليسوا مستعدين للقيام بها، وإنما يفعلون النقيض تماما، فيفتشون عن أساليب لاسترضاء الأميركيين أو للدخول في شراكة معهم، طبعاً من موقع الباحث عن تلبية لمصالحه على حساب مصالح الامة العربية كلها.

ولا بدّ أن ينعكس، على الساحة اللبنانية، هذا الواقع المؤلم! تماما مثلما ينعكس عليها واقع النهوض الوطني والقومي النسبي، واضطرار الامبريالية إلى القيام بهجمات، تبدو أحيانا انتحارية، سعيا للتعويض عن هزائمها المتكررة في أكثر من بقعة من العالم.

خامسا: أدى الاجتياح الاسرائيلي للجنوب في ربيع ١٩٧٨، ثم قيام الحركة الانفصالية بقيادة سعد حداد باعلان «دولة لبنان الحر» في الشريط الحدودي، إلى تكوين «أمر واقع جديد» قوامه قدرة اسرائيل على الامساك بمعظم أوراق الازمة اللبنانية وعلى النحو الذي جعل المراقبين يتساءلون في ضوء المناقشات والتصريحات المتناقضة، على الصعيدين السياسي والديبلوماسي، عما تخطط له الولايات المتحدة تجاه لبنان في ضوء مشاريع هنري كيسنجر المعلومة. ومع أن الأوساط الوطنية لم يفاجئها وصول جماعة سعد حداد إلى هذه الدرجة من التصعيد، ووصول العدو الاسرائيلي إلى استغلال التساهل الداخلي مع